الفصل الأول
شبهات حول حجية السنة النبوية الشريفة

وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

1- المبحث الأول : شبهات بنيت على آيات من القرآن الكريم 0 **ونذكرها فى مطلبين :**

1- المطلب الأول : شبهة الاكتفاء بالقرآن الكريم وعدم الحاجة إلى السنة النبوية والرد عليها 0

2- المطلب الثانى : شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفل الله بحفظهـا والرد عليها 0

2- المبحث الثانى : شبهات بنيت على أحاديث من السنة النبوية 0 **وينقسم إلى تمهيد وثلاثة مطالب :**

1- المطلب الأول: شبهة عرض السنة على القرآن الكريم والرد عليها 0

2- المطلب الثانى : شبهة عرض السنـة علـى العقـل والرد عليها 0

3- المطلب الثالث : وفيه الشبه الآتية :

2- شبهة النهى عن كتابة السنة النبويـة والرد عليها 0

2- شبهة التأخر فى تدوين السنة المطهرة والرد عليها 0

3- شبهـة روايـة الحديـث بالمعنـى والرد عليهـا 0

4- شبهة كثـرة الوضاعيـن للحديـث والرد عليهـا 0

3- المبحث الثالث : أدلة حجية السنة النبوية 0 **وتحته خمسة مطالب :**

1- المطلب الأول : العصمـــة 0

2- المطلب الثانى : القرآن الكريـم 0

3- المطلب الثالث : السنة النبويـة 0

4- المطلب الرابع : إجماع الأمـة 0

5- المطلب الخامس : العقل والنظر 0

المبحـث الأول
شبهات بنيت على آيات من القرآن الكريم

تمهيـد :

إننا لو فتشنا عن المحاربين لسنة النبى ، لوجدنا أنهم يتظاهرون بإجلال القرآن واحترامه، وأنه الحجة التى ليس وراءها حجة، فيقولون : علينا بالاكتفاء بالقرآن الكريم فقط؛ فهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المصدر الأول للإسلام، وهو الذى سلم من التغيير والتبديل ... إلى آخر ما يقولونه تظاهراً بحبهم للإسلام، ودفاعاً عنه، وغيرة على ما فى كتاب الله من شريعة وأحكام، غير أنهم لا يريدون – مع ذلك – أن يضبطوا أنفسهم وعقولهم بهذا الذى أمر القرآن الكريم بضبط أنفسنا وعقولنا به، من اتباع سنة المصطفى مصطنعين لأنفسهم ما يشاءون من آيات القرآن الكريم، يستدلون بها على الاكتفاء بالقرآن وحده، وعدم حجية السنة والحاجة إليها 0

وما استدلوا به من آيات قرآنية بنوا عليها شبهتين جعلوهما قاعدتين ينطلقون منهما تشكيكاً فى حجية السنة 0 **نذكرهما فى مطلبين :**

1- المطلب الأول : شبهة الاكتفاء بالقرآن وعدم الحاجة إلى السنة النبوية والرد عليها 0

2- المطلب الثانى : شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفـل الله بحفظهـا والرد عليها 0

المطلب الأول
شبهة الاكتفاء بالقرآن الكريم وعدم الحاجة إلى السنة النبوية

واستدلوا على ذلك من القرآن الكريم بآيات عدة وهي :

1- قوله تعالى : [illegible] [1] واستدل بهذه الآية الدكتور توفيق صدقى[2]، ومحمود أبو ريه[3]، ومحمد نجيب[4]، وقاسم أحمد[5]0

2- وقوله تعالى : **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**0[6]

3- وقوله تعالى : [illegible] [7]

4- وقوله تعالى : [illegible] [8]

واستدل بهذه الآيات الكريمات وما فى معناها[9] عدد من أعداء السنة المطهرة المنكرين لحجيتها قديماً وحديثاً، الزاعمين أن القرآن فى غنى عن السنة؛ لأن فيه بيان وتفصيل كل شئ؛ فقديماً على سبيل المثال لا الحصر : الطائفة التى

---

1 () الآية 38 من سورة الأنعام 0

2 () مجلة المنار المجلد 9/516، 907، وأيده جمال البنا فى كتابه السنة ودورها فى الفقه الجديد ص 33

3 () أضواء على السنة المحمدية 404 0

4 () الصلاة ص 23 0

5 () إعادة تقييم الحديث 86 0

6 () جزء من الآية 89 من سورة النحل 0

7 () جزء من الآية 114 من سورة الأنعام 0

8 () جزء من الآية 115 من سورة الأنعام 0

9 () كقوله تعالى : **"وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "** الآية 52 من سورة الأعراف، وقوله تعالى : **"كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"** الآية 3 من سورة فصلت 0

ناظر الإمام الشافعي واحداً من أتباعها واستدلوا بقوله تعالى :

[illegible][1]0

وحديثاً : الدكتور توفيق صدقى[2]، وأبو رية[3]، ومحمد نجيب[4]، ومصطفى كمال المهدوى[5]، وأحمد صبحى منصور[6]، وقاسم أحمد[7]، وجمال البنا[8]، ورشاد خليفة[9]0

5- وقوله تعالى : [illegible][10]0 واستدل بهذه الآية أبو رية[11]، ومحمد نجيب[12]0

---

1 () الآية 89 من سورة النحل، وانظر : الأم كتاب جماع العلم باب حكاية قول الطائفة التى ردت الأخبار كلها 7/250 0

2 () مجلة المنار المجلد 9/907 0

3 () أضواء على السنة ص 404 0

4 () الصلاة ص 22 0

5 () مصطفى كمال المهدوى : مستشارى ليبى معاصر ينكر حجية السنة النبوية، من مؤلفاته : البيان بالقرآن من جزأين 0 وانظر : استشهاد بالآيات السابقة فى كتابه البيان بالقرآن 1/29،10 0

6 () الصلاة فى القرآن ص 32، 60، 61، ولماذا القرآن ص 10 0

7 () إعادة تقييم الحديث 86 0

8 () جمال البنا : هو جمال البنا ابن العالم المحدث الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا صاحب الفتح الربانى فى ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى، وشقيق الإمام الشهيد حسن البنا المرشد الأول، من مصنفاته التى طعن فيها فى حجية السنة النبوية المطهرة،الأصلان العظيمان، وكتاب السنة ودورها فى الفقه الجديد 0وانظر:استدلاله بالآيات السابقة فىكتابه السنة ودورها فىالفقه الجديد ص 33 0

9 () رشاد خليفة : هو رشاد عبد الحليم محمد خليفة، حصل على بكالوريوس الزراعة من جامعة عين شمس، عمل خبيراً زراعياً بالولايات المتحدة الأمريكية، كان عميلاً للبهائية ويدعو إليها، وينكر حجية السنة النبوية، ادعى النبوة ومات مقتولاً داخل مسجد قريب من جامعة أريزونا حيث كان يقوم بتدريس أفكاره البهائية التى تشكك فى الإسلام، وفى حجية السنة المطهرة، انظر : قصته فى كتابى الدفاع عن السنة ص 42 وما بعدها، ومسيلمة فى مسجد توسان ص 16، 70، كلاهما لأستاذنا الدكتور طه حبيشى ص 16،70 0 ورشاد خليفة صنيعة الصليبية العالمية للدكتور خالد نعيم ص 16-59، وانظر : إستدلاله بالآيات السابقة فى قرآن أم حديث ص 6، والقرآن والحديث والإسلام ص 32 0

10 () جزء من الآية 3 من سورة المائدة 0

11 () أضواء على السنة ص 404 0

12 () الصلاة ص 23 0

6- وقوله تعالى : [illegible] [1]0 واستدل بهذه الآية الدكتور أحمد صبحى منصور[2]، وإسماعيل منصور[3]0

7- وقوله تعالى : [illegible][4] واستدل بهذه الآية الدكتور إسماعيل منصور[5]0

8- وقوله تعالى: [illegible] [6]0 واستدل بهذه الآية محمد نجيب[7]، وإسماعيل منصور[8]0

هذه الآيات الكريمات وما فى معناها؛ استدل بها دعاة الفتنة على عدم حجية السنة النبوية المطهرة، وشبهتهم فى هذه الآيات؛ أنها تبين أن القرآن تام قد حوى كل شئ، كما فى آية الأنعام "**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ**"، والله ما فرط فى الكتاب من شئ، كما فى آية الأنعام "**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**" فأتي بالعام ثم فصله تفصيلاً، كما فى آية الأنعام "**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا**" وغيرها، وأتي بالمجمل ثم بينه للناس تبياناً تاماً، كما فى أية النحل "**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**" فهو لا يحتاج بعد هذا البيان إلى شئ آخر، وإلا لو احتاج إلى شئ آخر لكان القرآن غير صادق فيما قال، وهذا أمر مستحيل على الله ، ومستحيل على كلامه 0

---

1 () الآية 19 من سورة الأنعام

2 () مجلة منظور المسلم نقلاً عن مسيلمة فى مسجد توسان ص 249 0

3 () إسماعيل منصور : هو إسماعيل منصور جودة، تخرج من جامعة القاهرة، وحصل على العالمية فى الطب البيطرى من الجامعة، تبرأ من السنة وزعم أنـها أكذوبة كبيرة وخطيرة، وداهية كبرى أريد بـها التشويش على كلام الله تعالى 0 من مصنفاته : تبصير الأمة بحقيقة السنة، وشفاء الصدر بنفى عذاب القبر، وبلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين 0 وغير ذلك، انظر : استدلاله بالآيات السابقة فى تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 11 0

4 () الآية 170 من سورة الأعراف 0

5 () تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 15 0

6 () الآية 51 من سورة العنكبوت 0

7 () الصلاة ص 22 0

8 () تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 10 0

هذه هي ناصية الشبهة الأولى وجماعها، وهم يذكرون لها حشداً عظيماً من الآيات التى تؤيدها سواء كان الدليل فى موضوعه كما فى الآيات التى استشهدوا بها سابقاً، أو فى غير موضوعه كما فى باقى الآيات "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ" "وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ" "وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ" "أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ"0

فهؤلاء المدلسون ما عليهم إلا أن يفتحوا المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وينقلوا منه الآيات التى يشوشون بها على المسلمين، ويضعون أمام كل آية جملة تلائمها، ولا يهمهم بعد ذلك أبقيت وحدة الموضوع بين أيديهم أم لم تبق 0

على أية حال فإن هذه هى الشبهة الأولى فى أصلها الأصيل وكلياتها التى لا تخرج عنها مهما علا الضجيج أو ارتفع الصياح[1]0

ويقول الدكتور السباعى - رحمه الله تعالى - تتلخص حجة من يرد الأخبار كلها كما حكاه الشافعى فى قولهم : إن القرآن جاء تبياناً لكل شئ، فإن جاءت الأخبار بأحكام جديدة لم ترد فى القرآن؛ كان ذلك معارضة من ظنى الثبوت وهى الأخبار، لقطعيه – وهو القرآن – والظنى لا يقوى على معارضة القطعى، وإن جاءت مؤكدة لحكم القرآن؛ كان الاتباع للقرآن لا للسنة، وإن جاءت لبيان ما أجمله القرآن، كان ذلك تبييناً للقطعى الذى يكفر منكر حرف منه، بظنى لا يكفر من أنكر ثبوته، وهذا غير جائز 0

وربما يتبادر إلى الذهن أنهم على هذا يقبلون المتواتر من الأخبار؛ لأنها قطعية الثبوت، فكيف عمم الشافعى بقوله : "رد الأخبار كلها"؟ والذى يظهر أنهم لا يعتبرون المتواتر قطعياً أيضاً بل هو عندهم ظنى؛ لأنه جاء من طرق آحادها ظنية، فاحتمال الكذب فى رواته لا يزال قائماً ولو كانوا جمعاً عظيماً"[2] أ 0هـ 0

والجواب عن هذه الشبهة :

---

1 () السنة فى مواجهة أعدائها للأستاذ الدكتور طه حبيشى ص 63،64 بتصرف 0

2 () السنة ومكانتها فى التشريع ص 151 0

إن أعداء السنة المطهرة فهموا أن المراد من الكتاب فى قوله تعالى [1] القرآن، ولكن مجموع الآيات ابتداء ونهاية، يفيد أن المراد بالكتاب هنا هو اللوح المحفوظ الذى حوى كل شئ، واشتمل على جميع أحوال المخلوقات كبيرها وصغيرها، جليلها ودقيقها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، على التفصيل التام كما جاء فى الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله يقول : **"كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة 0 قال : وعرشه على الماء"[2]0**

وهذا هو المناسب لذكر هذه الجملة عقب قوله تعالى : [3]0 والمثلية فى الآية ترشح هذا المعنى؛ لأن القرآن الكريم لم ينظم للطير حياة كما نظمها للبشر، وإنما الذى حوى كل شئ للطير والبشر، وتضمن ابتداءً ونهاية للجميع هو اللوح المحفوظ 0 يقول الحافظ ابن كثير : أى الجميع علمهم عند الله ، لا ينسى واحداً من جميعها، من رزقه وتدبيره سواء كان برياً أو بحرياً، كقوله تعالى : [4]0 أى مفصح بأسمائها وأعدادها ومظانها وحاصر لحركاتها وسكناتها"[5]0

والآية نظير قوله تعالى : **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**[6]0 وقوله تعالى : [7]0

---

1 () جزء من الآية 38 من سورة الأنعام 0
2 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام 8/452 رقم 2653 0
3 () الآية 38 من سورة الأنعام 0
4 () الآية 6 من سورة هود 0
5 () تفسير القرآن العظيم 2/131، 132، وانظر : فتح القدير للشوكانى 3/61 0
6 () الآية 59 من سورة الأنعام 0
7 () جزء من الآية 3 من سورة سبأ 0

وعلى هذا الأساس، ففهم أن المراد بالكتاب فى قوله تعالى : ﴿ ﴾ هو القرآن غير دقيق، ويأباه السياق العام للآية وربطها بما قبلها، وبغيرها من الآيات التى فى معناها وسبق ذكرها 0

ومن المعلوم بداهة أن الكلمة فى اللغة العربية يكون لها أكثر من معنى، ويتحدد المعنى المراد منها من خلال سياق الكلام الذى وردت فيه، وكلمة "الكتاب" تجئ فى القرآن بمعنى الفرض، والحكم، والقدر[1]0

فبمعنى القدر قوله تعالى : ﴿ ﴾[2]

يقول الحافظ ابن كثير : أى لا يموت أحد إلا بقدر الله، وحتى يستوفى المدة التى ضربها الله له، ولهذا قال تعالى : **﴿ كتاباً مؤجلاً ﴾** وكقوله تعالى ﴿ ﴾[3] وكقوله تعالى : ﴿ ﴾[4]

وبمعنى الفرض قوله تعالى : ﴿ ﴾[5] قال ابن عباس أى مفروضاً[6]، والكتاب يأتى فى القرآن الكريم تارة مراداً به اللوح المحفوظ كما سبق وأن بينا، وتارة أخرى يأتى مراداً به القرآن الكريم كما فى قوله تعالى : ﴿ ﴾

---

1 () القاموس المحيط 1/120، ومختار الصحاح ص 562 0
2 () الآية 145 من سورة آل عمران 0
3 () جزء من الآية 11 من سورة فاطر 0
4 () الآية 2 الأنعام، وانظر : تفسير القرآن العظيم 1/410 0
5 () الآية 103 من سورة النساء 0
6 () تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/550 0

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة 0[1]

ومع هذا فنحن نسلم لكم أن المراد من الكتاب "القرآن"، ولكننا نقول لكم : إن هذا العموم غير تام، بل هو مخصص بقول الله تعالى : والذى يجعلنا نذهب إلى تخصيص هذا العام أمران :[2]

1- لتتفق آيات القرآن ولا تتعارض فى ظاهرها؛ فإن القرآن ملئ بالآيات التى فوض الله نبيه فى شرح أحكامها 0
2- إن كثيراً من الأمور الجزئية فى حياة المجتمع تحتاج إلى حكم، وليس فى القرآن إلا قواعده الكلية العامة 0 وعلى هذا فلا بأس أن يكون الكتاب فى الآية الكريمة هو القرآن الكريم[3]0

ونقول لكم : نعم لم يفرط ربنا فى كتابه فى شئ من أمور الدين على سبيل الإجمال، ومن بين ما لم يفرط فى بيانه وتفصيله إجمالاً بيان حجية السنة وجوب اتباعها والرجوع والتحاكم إليها؛ فالقرآن جامع - دون تفريط - كل القواعد الكبرى للشريعة التى تنظم للناس شئون دينهم ودنياهم، والسنة النبوية هى المبينة لجزئياتها وتفاصيلها وهى المنيرة للناس طريق الحياة، وتنسجم هذه الآية مع الآيات الأخرى التى تؤكد بالنص أهمية السنة تجاه ما فى الكتاب من القواعد التى تحتاج إلى تخصيص أو تقييد أو توضيح أو تبيين ... إلخ[4]0

وهنا نأتى للرد على الآيات الأخرى التى استدلوا بها على أن القرآن أنزل مفصلاً وتبياناً لكل شئ، فلا يحتاج بعد هذا البيان إلى السنة المطهرة 0 أما قوله تعالى :

---

1 () الآية الأولى من سورة إبراهيم 0
2 () الآية 64 من سورة النحل 0
3 () انظر : البحر المحيط فى أصول الفقه للزركشى 1/441 0
4 () انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص 384، 385، والسنة بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبى 18-24 0

وقوله تعالى : [1] [2]

فالمراد بالتفصيل والبيان هنا : تفصيل وبيان كل شئ من أحكام هذا الدين كقواعد كلية مجملة، **أما تفاصيل تلك القواعد وما أشكل منها؛ فالبيان فيها راجع إلى السنة النبوية** قال تعالى : [3] فقاعدة وجوب اتباع الرسول والتحاكم إلى سنته المطهرة من القواعد الكلية المجملة لهذا الدين، وفصلها ربنا فى كتابه العزيز كما فى الآية السابقة 0 وقوله تعالى : [4] يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى **تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** عن ابن مسعود[5] قال : قد بين لنا فى هذا القرآن كل علم وكل شئ وقال مجاهد[6] : كل حلال وحرام، وقول ابن مسعود أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتى، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون فى أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم - وقال الأوزاعى : **"تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ"** أى بالسنة[7]0

---

1 () جزء من الآية 114 من سورة الأنعام 0

2 () جزء من الآية 89 من سورة النحل 0

3 () الآية 44 من سورة النحل 0

4 () الآية 64 من سورة النحل 0

5 () ابن مسعود : هو عبد الله بن مسعود صحابى جليل 0 له ترجمة فى : الاستيعاب 3/987 رقم 1659، واسد الغابة 3/381 رقم 3182، وتاريخ الصحابة ص 149 رقم 718، وتذكرة الحفاظ 1/13 رقم 5، وطبقات الحفاظ ص 14 رقم 6، وتجريد أسماء الصحابة 1/334، ومشاهير علماء الأمصار ص 16 رقم 21، والإصابة 2/360 رقم 4969 0

6 () مجاهد : هو مجاهد بن جبر، بفتح الجيم، وسكون الموحدة، أبو الحجاج المخزومى مولاهم، المكى، ثقة، إمام فى التفسير، والعلم، مات سنة 104هـ وقيل قبل ذلك 0 له ترجمة فى : تقريب التهذيب 2/159 رقم 6501، وتذكرة الحفاظ 1/92 رقم 83، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص 42 رقم 81، والثقات للعجلى ص 420 رقم 1538، والثقات لابن حبان 5/419، وطبقات المفسرين للداودى 2/305 رقم 617 0

7 () تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/582 0

ولا تعارض بين القولين - ابن مسعود والأوزاعى - فابن مسعود يقصد العلم الإجمالى الشامل، والأوزاعى يقصد تفصيل وبيان السنة لهذا العلم الإجمالى 0

ومن هنا؛ فالقول بأن القرآن الكريم تبيانٌ لكل شئ قول صحيح فى ذاته بالمعنى الإجمالى السابق ولكن الفساد فيما بنوه عليه من الاستغناء عن السنة والاكتفاء بالقرآن ليؤولوه حسب أهوائهم 0 وإلا فرب العزة هو القائل فى نفس سورة النحل وقبل هذه الآية قال تعالى : ﴿ ﴾ (38) 0[1]

وقال تعالى : ﴿ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ ﴾[3] فتلك ثلاث آيات كريمات فى نفس سورة النحل وسابقة لآية ﴿ ﴾ **والثلاث آيات تسند صراحة مهمة البيان والتفصيل إلى النبى ﷺ صاحب السنة المطهرة، فهل يعقل بعد ذلك أن يسلب الله ﷺ هذه المهمة - البيان، التى هى من مهام الرسل جميعاً كما قال** ﴿ ﴾[4] 0 وقال ﷺ : ﴿ ﴾[5] 0 **ويوقع التناقض بآية**

---

1 () الآيتان 38، 39 من سورة النحل 0
2 () الآية 44 من سورة النحل 0
3 () الآية 64 من سورة النحل 0
4 () الآية 4 من سورة إبراهيم 0
5 () الآية 187 من سورة آل عمران 0

إن كل الرافضين لحجية السنة، لابد أن يلتزموا بهذه النتيجة التى تعود بالنقض على الإيمان بالكتاب، وبمن أنزل الكتاب جل جلاله، سواء أقروا بلسانهم بهذا النقض أم لا، وتنبهوا إلى ذلك أم لا؟!!

ويجدر بنا أن نشير إلى نصوص لبعض العلماء تؤكد الذى قلناه فى معنى البيان الوارد فى الآية التى استشهدوا بها يقول الإمام الشاطبى[1]: "تعريف القرآن بالأحكام الشرعية أكثره كلى لا جزئى، وحيث جاء جزئياً فمأخذه على الكلية، إما بالاعتبار أو بمعنى الأصل، إلا ما خصه الدليل مثل خصائص النبى 0 ويدل على هذا المعنى - بعد الاستقراء المعتبر - أنه محتاج إلى كثير من البيان، فإن السنة على كثرتها وكثرة مسائلها إنما هى بيان للكتاب كما سيأتى شرحه إن شاء الله تعالى 0

وقد قال الله تعالى : [2] وإذا كان الأمر كذلك فالقرآن على اختصاره جامع، ولا يكون جامعاً إلا والمجموع فيه أمور كليات لأن الشريعة تمت بتمام نزوله؛ لقوله تعالى: [3] وأنت تعلم أن الصلاة والزكاة والجهاد وأشباه ذلك لم يتبين جميع أحكامها فى القرآن، إنما بينتها السنة، وكذا تفاصيل الشريعة من الأنكحة والعقود والقصاص والحدود، وغير ذلك 0

فعلى هذا لا ينبغى فى الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه دون النظر فى شرحه وبيانه وهو السنة؛ لأنه إذا كان كلياً وفيه أمور كلية كما فى شأن الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها فلا محيص عن النظر فى بيانه، وبعد ذلك ينظر فى تفسير السلف الصالح له إن أعوزته السنة، فإنهم أعرف به من غيرهم، وإلا فمطلق الفهم العربى لمن حصله يكفى فيما أعوز من ذلك،فبيان الرسول بيان صحيح لا إشكال فى صحته؛

---

1 () الإمام الشاطبى:هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطى الشهير بالشاطبى،العلامة المؤلف النظار المفسر الأصولى اللغوى المحدث الورع الزاهد، له تأليف نفيسة منها : الموافقات فى أصول الفقه، والاعتصام فى الحوادث والبدع،توفى سنة 790هـ 0له ترجمة فى:شجرة النور الزكية محمد مخلوف ص 231 رقم 828، والمجددون فى الإسلام عبد المتعال الصعيدى ص 305، والفتح المبين عبدالله الـمراغى 2/204، وأصول الفقه تاريخه ورجاله للدكتور شعبان إسماعيل ص 384 0

2 () الآية 44 من سورة النحل 0

3 () جزء من الآية 3 من سورة المائدة 0

لأنه لذلك بعث،قال تعالى: [illegible] [1] ولا خلاف فى هذا البيان النبوى[2]0

ويقول الدكتور إبراهيم محمد الخولى : "التبيين" هنا غير "التبليغ" الذى هو الوظيفة الأولى للنبى ، قال تعالى : [illegible] [3]، **و"التبيين" و "التبليغ" وظيفتان موضوعهما واحد هو "القرآن العظيم"** عبر عنه فى آية "التبليغ" بهذا اللفظ : "ما أنزل إليك" وعبر عنه فى آية التبيين بلفظ مختلف : "ما نزل إليهم" وبينهما فروق لها دلالتها، مردها إلى الفروق بين الوظيفتين "فالتبليغ" تأدية النص؛ تأدية "ما أنزل" كما "أنزل" دون تغيير ما على الإطلاق، لا زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير ...

و "التبيين" إيضاح، وتفسير، وكشف لمراد الله من خطابه لعباده، كى يتسنى لهم إدراكه، وتطبيقه، والعمل به على وجه صحيح 0

و "التبليغ" مسئولية "المبلغ" وهو المؤتمن عليها، وهذا سر التعبير : "وأنزلنا إليك" حيث عدى الفعل "أنزل" بـ "إلى" إلى ضمير النبى ، المخاطب 0

و "التبيين" : مهمة، فرضتها حاجة الناس لفهم ما خوطبوا به، وبُلِّغوه، وإدراك دلالته الصحيحة، ليطبقوه تطبيقاً صحيحاً0

ومن هنا كانت المخالفة فى العبارة ... "ونزل إليهم" ... حيث عدى الفعل "نزل" بـ (إلى) مضافاً إلى الضمير "هم" ... أى الناس، وعُدِّى الفعل "لتبين" إلى الناس بـ "اللام" أن كانت حاجتهم إلى "التبيين" هى السبب والحكمة من ورائه، وهى توحى بقوة أن رسول الله ، ليس بحاجة إلى ما احتاج إليه الناس من هذا التبيين، ولعمرى إنه لكذلك...، فقد أوحى إليه بيانه وألهمه، فالتقى فى نفسه "البيان" و "المبين" معاً، وأصبح مؤهلاً لأن يقوم بالوظيفتين : وظيفة البلاغ، ووظيفة التبيين على سواء ...، واختلاف الناس فى فهم القرآن ما بين مصيب ومخطئ واختلافهم فى فهم درجات الإصابة، ودركات الخطأ ... برهان بين على حاجتهم إلى "تبيين" لكتاب ربهم، ينهض به إمام الموقعين عن رب العالمين[4]0

---

1 () الآية 44 من سورة النحل 0

2 () الموافقات للشاطبى 3/274 - 276، 300، 301، 330 - 338 بتصرف يسير 0

3 () الآية 67 من سورة المائدة 0

4 () السنة بياناً للقرآن للدكتور إبراهيم محمد الخولى ص 4، 5، 13، 47-69 0

ويقول الإمام الشافعى : "والبيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول متشعبة الفروع : فجماع ما أبان الله لخلقه فى كتابه، مما تعبدهم به، لما مضى من حكمه جل ثناؤه من وجوه :

1- منها ما أبانه لخلقه نصاً مثل إجمال فرائضه فى أن عليهم صلاة، وزكاة، وحجاً، وصوماً، وأنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونص على الزنا، والخمر، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وبين لهم كيف فرض الوضوء،مع غير ذلك مما بين نصاً "إجمالياً"0

2- ومنها ما أحكم فرضه بكتابه، وبين كيف هو على لسان نبيه مثل عدد الصلاة، والزكاة ووقتها، إلى غير ذلك من فرائضه التى أنزلها فى كتابه عز وجل 0

3- ومنها ما سن رسول الله مما ليس لله فيه نص محكم، وقد فرض الله فى كتابه طاعة رسوله ، والانتهاء إلى حكمه فمن قبل عن رسول الله فبفرض الله قبل[1]0

تعليــق :

مما سبق من قول الإمامين الشاطبى والشافعى يتأكد ما ذكرناه فى أن المراد من معنى البيان والتفصيل الوارد فى الآيات التى استشهد بها أعداء السنة المطهرة؛ بيان وتفصيل القرآن لكل شئ من أحكام هذا الدين كقواعد كلية مجملة، ومن بين تلك القواعد التى فصلها وبينها ربنا ؛ وجوب اتباع نبيه ، والتحاكم إلى سنته المطهرة[2]، ففى تلك السنة المطهرة إيضاح هذه القواعد وتفصيلها، فجاءت السنة موافقة ومؤكدة للقرآن، ومخصصة لعامه، ومقيدة لمطلقه، ومفصله لمجمله، وموضحة لمشكله، ومستقلة بتشريع أحكام دون سابق ذكر لها فى كتاب الله كما سيأتى مفصلاً فى المبحث الثالث 0

يقول الإمام الشاطبى : "القرآن فيه بيان كل شئ على ذلك الترتيب المتقدم؛ فالعالم به على التحقيق عالم بجملة الشريعة ولا يعوزه منها شئ؛ فهو أساس التشريع، وإليه ترجع جميع أحكام الشريعة الإسلامية، والتى منها السنة النبوية، فهى حاصلة فيه فى الجملة، والدليل على ذلك أمور :

1- منها : النصوص القرآنية، كقوله تعالى : [illegible][3] وقوله

---

1 () الرسالة للشافعى ص 20،22 0

2 () انظر : البحر المحيط للزركشى 1/441 0

3 () الآية 3 من سورة المائدة 0

تعالى : [illegible] [4] وقوله تعالى : [illegible] [2] وقوله تعالى: [illegible] [3] وأشباه ذلك من الآيات الدالة على أنه هدى وشفاء لما فى الصدور،ولا يكون شفاء لجميع ما فى الصدور إلا وفيه تبيان كل شئ[4]0

---

1 () الآية 89 من سورة النحل 0
2 () الآية 38 من سورة الأنعام 0
3 () الآية 9 من سورة الإسراء 0
4 () الموافقات 3/333، 334 بتصرف يسير 0